الغرام فى الأصل

مش نظرة ..

الغرام فى الأصل

" كيمياء "

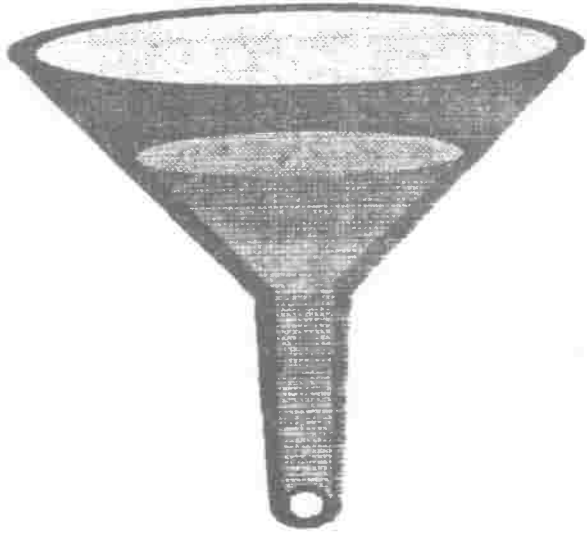

* مادة داخل جسمك اسمها (PEA) هي سبب الغرام .

* رأي علمي : الغرام مظهر أرستقراطي سببه الفراغ والفلوس .

* رأي علمي آخر : لا .. الغرام فطرة موجودة في التركيب الوراثي للإنسان .

* في أوروبا والدول المتقدمة لا يوجد شيء اسمه " الغرام الخالد " ....
☺ خالد مين يا أستاذ !!

* الأوكسيتوسين . أيوه اسمه كده . ينتجه المخ ليشجع على الغرام .

هل من الممكن وضع الغرام تحت الميكروسكوب ؟

وهل نستطيع خداع مشاعره الملتهبة وجرجرته ببطء حتى جدران المعمل ؟ ..

ببساطة هل تنجح معادلات العلم وقياساته على تفسير ماهية الغرام ؟ ..

بالطبع من حق الكثيرين أن يتشككوا فى ذلك فالحب مشاعر رقيقة هفهافة وأقصى درجاته وهى الغرام والعشق والهوى والكلف هى عواطف رومانسية تحلق فى عالم الخيال والسعادة أما العلم فهم يعتبرونه قاسيا جافا حاد الملامح لا يستطيع التحليق فهو لا يمتلك اجنحة بل يمتلك دوارق وأنابيب وسحاحات !!

كل ما سبق لا يعنى أن العلم وقف مكتوف الأيدى أمام المشاعر فالغضب والخوف مثلا دخلا المعمل وتم قياسهما من خلال معدلات النبض والتنفس والتقلصات العضلية ودراسة شبكة الاستجابات العصبية اللاإرادية .

أما الغرام الرومانسى بما يحمل من تنهدات وتأوهات وقصائد صد وهجر فقد ظل مستعصيا على البحث المعملى لفترة طويلة حتى ظهرت مؤخرا " هوجة " لدراسة الحب والغرام وخاصة من الناحية البيولوجية البحتة وقد علل العلماء ذلك بعدة تعليلات وأسباب .

لخص الكاتب بول جرى بعضها فى مجلة "تايم" ١٥ فبراير ١٩٩٣ ورد ذلك إلى اتساع التهديد بمرض الايدز بما يحمله من مخاطر مما أظهر أهمية معرفة المزيد عن تلك القوة العاطفية الملتهبة .

وسبب آخر يقترحه الكاتب وهو تزايد عدد النساء العالمات مما أضفى على هذه البحوث أهمية خصوصية لأنهن أكثر شوقا إلى معرفة وتحليل الغرام.

وسنمر سريعا على علم الاجتماع وكيف ناقش الغرام وحلله قبل أن نبدأ فى مناقشته من الناحية البيولوجية البحته أو من ناحية الكيمياء ..

ولنأخذ ما هو مدهش بالنسبة لنا من هذه الأبحاث الغربية القديمة نوعا ، والتى كانت تعتبر الغرام نوعا من التضليل الثقافى الذى اخترعته المدنية الحديثة وروجت له القصائد

والعبارات الأدبية البلاغية والقطع الموسيقية فتحول إلى بيزنس وصار الغرام هو الدجاجة التى تبيض ذهبا للناشرين ومنتجى السينما والمسرح .

ويقول العالم لورانس كاسلر مؤلف كتاب " هل الزواج ضرورة " ؟

" لا ارى أن الغرام جانب من طبيعة الإنسان بكل تأكيد فوراء الحب ضغوط اجتماعية وحتى لو كان هذا الحب جانبا من طبيعتنا الإنسانية كشأن الجريمة والعنف فإنه ليس أمرا مرغوبا فيه بالضرورة " .

وظل الصراع طويلا فيما بين هاتين الفكرتين أو للإجابة عن هذا السؤال .

هل الغرام فطرى أم مكتسب ؟

وظل صوت أصحاب نظرية " الغرام الوهم الثقافى " عاليا يردد أن البسطاء من الفلاحين يتزوجون ولكن الارستقراطيين نتيجة للرفاهية والفراغ يمارسون الغرام الذى خلق فقط نتيجة الإحتياج الجنسى ولهذا برز إلى الوجود سؤال فلسفى جديد مشابه لسؤال البيضة أم الفرخة وهو الجنس أسبق أم الغرام ؟!!

ولكن الأصوات المعارضة والتى تؤكد على أن الغرام ليس مكتسبا بل فطريا موجودا بداخلنا وقدريا على جيناتنا الوراثية وفى تركيبنا الكيميائى ..

لم تقف هى الأخرى مكتوفة الأيدى بل اتجهت إلى الدراسات الجادة والعميقة وكان من أهم هذه الدراسات الدراسة التى أجريت سنة ١٩٩٢ والتى أجراها العالمان الأنثربولوجيان وليم جانكوفياك من جامعة نيفادا وإدوار فيشر من جامعة تولين .. وقد اكتشفت هذه الدراسة دليلا دافعا على وجود الغرام أو الحب الرومانسى فيما لا يقل عن ١٤٧ ثقافة من ١٦٦ ثقافة أخضعاها للدرس .

وبذلك يكونا قد دحضا فكرة إن الغرام نتاج الثقافة المدنية الحضارية لأنه من الممكن ان يعبر المتحضرون عن غرامهم ببوكيهات الورد مثلا لكن افتقار ثقافة مجتمعات أخرى لمثل هذه الأساليب لا يعنى أنها تفتقر للغرام والرومانسية وتؤيدهما فى ذلك عالمة الإنسان هيلين فيشر مؤلفة كتاب " تشريح الحب " والتى تقول " لم أستبعد قط التفكير بأن

الحب عاطفة بدائية جدا وأساسية كالخوف والغضب والفرح" .

وبهذا يكون الفريق الأخير قد حسم القضية لصالح أن الغرام ميل بيولوجـــى (طبيعـــى) ولكنهم حتى الآن لم يستطيعوا حسم لماذا يتم التعبير عن هذا الميل البيولوجى بصـــور مختلفة بداية من الصور المرسومة على الكهوف والتى تصور رجالا يجرون النسوة من شعورهن حتى فيلم Love Story مرورا بقصائد قيس وكثير عزة وروميو وقصة هيلين طروادة والتى أخضعت مدينتها لحصار مدمر دام عشر سنوات بسبب الغرام .....

وتعالوا الآن لنطرق باب العلوم الحديثة البيولوجية (الطبيعية) .

وكيف ناقشت هذه العاطفة المتأججة "الغرام" والتى قال عنها ميشيل مليز أســـتاذ علـــم النفس بجامعة ليولا ماريمونت فى لوس أنجلوس "الغرام همسة الأجداد فى أذاننـــا" ... وعودة إلى هؤلاء الأجداد لنرى كيف نشأ الغرام وكيف تطورت الرومانسية ..

يقول العلماء إنه من المحتمل أن يكون الغرام قد نشأ لأول مرة فى السهول الأفريقية قبل أربعة ملايين سنة كما تخمن أنستاسيا توفيكسيس فى مقالتها بمجلة "تايم" فى نفس العـــدد السابق ذكره أى أنه منذ هذا التاريخ السحيق بدأ الطوفان الكيميائى العصبى أو ما نطلق عليه neurochemicals يتدفق ويسرى فى الجسم ويدغدغه ولكن الثورة الحقيقة بـــدأت عندما تعلم الأنسان المشى على قدمين وليس اربعا كباقى الحيوانات لأنه بذلك قد أصبح جسده مكشوفا للآخرين لأول مرة بما فى ذلك أعضاؤه التناســـلية وملامحـــه الأخـــرى كعرض كتفيه واتساع صدره إلى أخر مثل هذه الإغراءات وبذلك أصبح الغزل وجـــها لوجه مما أعطى بعدا جديدا للحب وساهم فى خلق الغرام على عكس بـــاقى الحيونـــات التى تمارس الجنس بدون أن ترى بعضها البعض مما يفقدها الحميمية ومن هنا أصبـــح الجنس لقاء رومانسيا بعد أن كان محصورا فى كونه وسيلة للتكاثر ...

وأعتقد أن هذا الاستنتاج حل مشكلة الجنس والغرام التى سبق الحديث عنها ولكن ما لم يحل هو مشكلة خلود الغرام ذاته فنحن نصر فى ثقافتنا الشرقية على أن جذوة الغرام لا تنطفىء بينما لا يوافقنا علماء الغرب على ذلك فمثلا.

تقول هيلين فيشر فى كتابها السابق " لقد تعايش الأزواج البدائيون مدة كافيـــة لتربيـــة طفل واحد وبعدئذ كان يذهب كل من الشريكين فى طريقه ليبدأ حياة أخرى مع رفيـــق جديد " أى أن خلود الغرام ليس فطرياً كما يحث فى بعض الطيور مثلاً وهذا ما ســـمته فيشر " هرشة السنوات الأربع " بعد دراستها للطلاق فى ٦٢ ثقافة مختلفة والتى تبيـــن من خلالها أن معدلاته تبلغ الذروة مع السنة الرابعة والتى من الممكن أن تطـــول مـــع مولد طفل جديد.وهذا ما صورته مارلين مونرو فى فيلمها " هرشة السنة السابعة" ..

وما دمنا نتكلم عن الأفلام فهل نوافق جريتا جاربو على ما قالته لميلفين دوجلاس فـــى فيلم " نينوتشفا " فقد قالت " الحب تصميم رومانسى لعملية هى أكثر العمليات البيولوجية طبيعية .. نستطيع أن نقول إنها كيميائية ".. فقد يزعم المغرمون أنهم يشعرون وكأنـــهم يطيرون فى الفضاء أو كأنهم ممسوسون .

وبالفعل هم ممسوسون ولكنهم بمس كيميائى يتحكم فى التقاء العيون ولمسات الأيـــدى وارتعاشات الأعصاب والشعور الجامع بالنشاط الذى يصاحب الغرام وهذه الكيماويـــات تنتمى إلى عالم الأمفيتامينات ومن هذه المواد الدوبامين والنوربينفريـــن وبخاصـــة مـــا يسمى PEA والتى يقول عنها أنتونى والش مؤلف كتاب " علم الحب " " إن الحب تألق طبيعى ومادة الـــــ PEA تعطيك تلك الإبتسامة السخيفة التى تواجه بـــها الآخريـــن فعندما نلتقى مع الذى نشعر بالجاذبية نحوه ، تنطلق صفارة الإنذار فى مصنع الـــ PEA .. ولكن تألق هذه المادة PEA لايدوم طويلا وهذا ما عزز رأى من يقولـــون علـــى أن الغرام عاطفة عابرة وقد أدى عجز الجسم عن إنتاج هذه المادة بصورة دائمة ومـــتزايدة إلى اعتقاد البعض بأن تناول الشيكولاته من الممكن أن يؤدى إلى زيادتها لأن الشيكولاته تحتوى عليها ولا تتسرع عزيزى القارىء فمزيد من الكورونا والكادبورى لن يجعلـــك أسير الغرام لأن هذه النظرية ثبت فشلها ..

ولكن العلماء لم ينتظروا طويلا ولم يقنعوا بأن هذه المادة السابقة هى التى تتحكم وظلوا يبحثون عن سر المادة الدائمة حتى وجدوا " الإندورفينات " وهى مواد قاتلة للألم وتوفر

للمغرمين السكينة والهدوء وفى رأى هيلين فيشر :

إن هذه المواد " هى السبب فى إحساسنا بالفجيعة عندما نواجه مشكلة الهجر أو موت أحبائنا ففى هذه الحالة نفتقد جرعتنا اليومية من الكيماويات المخدرة " .

وتظهر مادة ثالثة على مسرح الأحداث وهى مادة الأوكسيتوسين .

وهى عامل كيماوى آخر أكتشف أخيراً أن له علاقة بالغرام والحب الرومانسى ...

وهذه المادة ينتجها المخ وهى تزيد من حساسية الأعصاب وتقلص العضلات فهى تساعد فى تقلص عضلات الرحم أثناء الولادة بالإضافة إلى إدرار اللبن وتدفع المرأة إلى احتضان وليدها .

ويعتقد العلماء أن هذه المادة هى التى تشجع على تبادل العناق والقبلات بين الرجل والمرأة وأنها تساعد أيضاً فى تقوية لذة الجنس .

وفى إحدى الدراسات على الرجال تبين أن مادة الأوكسيتوسين ازدادت من ثلاثة إلى خمسة أضعاف معدلها الطبيعى فى أثناء ذروة اللقاء الجنسى ..

ولكن يظل السؤال .. لماذا هذا الشريك بالذات الذى نقع فى غرامه ؟

هنا يؤكد العلم على ما يسمى " خرائط الحب " أى أن كلا منا له خريطته الخاصه فى علاقات الغرام وملامح هذه الخريطة وتضاريسها تستمد من التجارب التى تنطبع فى الذاكرة وبالطبع لا يمكن أن تتوفر كل الصفات المنطبعة على الشريك الآخر .

ولكن على الأقل لابد من توافر عدد كاف من هذه الصفات .

ونلخص سريعا كيمياء الغرام فى أربع خطوات .

الأولى هى مرحلة الإنطباع والتى تتحكم فيها التجارب النفسية .

والثانية وهى الإنجذاب والتى تتحكم فيها مادة PEA وباقى الأمفيتامينات والتى يمكن أن تستمر حتى أربع سنوات .

وثالثا الإرتباط وخلالها تفرز كمية أكبر من الإندورفينات وهى التى تترك لدى العشاق شعور السلام والسكينة .

ورابعاً وأخيراً الإحتضان والتى تتحكم فيها مادة الأوكسيتوسين ..
ولكن يبقى الغرام متمرداً على التصنيف وثائراً على النظريات ويظل حتى النهاية مزيجا من الإندورفين وقوافى الشعر وخليطاً من الـــ PEA وقبلات الشفـــاة .. لاتســتطيع أسره أغنية ولا الإحاطة به معادلة كيمياوية .

الحب والهووب .

جاءنى باحث ألمانى يتحدث اللغة العربية يسألنى فى بحث يكتبه عن الحب والغرام ولأن لغته العربية على قدها فكيف كان ينطق الحب " الهووب " .

ومن يومها أدركت أن هناك فرقا بين مشاعر البشر أتجاه هذا الحب فعلا ، حيث يوجد فى الحياة حبان ، حب وهووب ... والفارق بينهما واسع وإذا به يتسع أكثر !

ما نعرفه فى حياتنا الآن هو الهووب وليس الحب ، الهووب له ملامح أخرى غير ملامح الحب ، الهووب أحساس تايوانى مثل الأجهزة الكهربائية المقلدة فى تايوان ، تكاد تكون هى نفسها الأجهزة اليابانية لكن جدا فاصلا هو الحد بين الأصل والتقليد .

وإذا به ألتفت حولى فلا أرى حبا ، أرى هووبا ، من منا أستطاع أن ينزع قلبه ليرى هل هو يحب حبا حقيقيا أم هووبا مزيفا أو على أقل تقدير هووبا مقلدا .

رغم أن مجتمعنا بل عالمنا الآن فى أمس الحاجة إلى قصة غرام كبرى خصوصا أن سنوات عجافا كثيرة مريرة عدت وعبرت دون أن نتوقف عند قصة غرام تحرك عواطفنا وتوجج مشاعرنا وتلهب أحاسيسنا .

كل زمن له عشقه المعلن وقصته الأثيرة إلا هذا الزمن ..أين ذهب الغرام ؟ سيقول البعض إن الحياة وسرعتها واحتياجاتها المادية والجرى وراء لقمة العيش ، والفقر والبطالة والتطرف والإرهاب ، كل هذه الأشياء تعمل ضد الغرام ، ضد ميلاد غرام حقيقى كبير .

بينما أرى أن كل هذه الأسباب تدفع إلى ميلاد غرام كبير حقيقى فعلا .

فليس هناك سبب أقوى من أن العالم غليظ فظ كى يظهر الحب والغرام .

الغرام حب وعشق وولَه وسَيَلان مفاصل ورعشة ودهشة وحنان وجنان ودفء وشجن ووهن ورِقَّة وأَرَقّ وخيبة وجنينة .

لهذا كله نحتاج الغرام ...

ومع ذلك فالغرام لا يحتاجنا .

نحن نعيش حالة من الطهى الردىء لمشاعر الحب فتنتج "هووباً" وليس حباً حاجة كده شبه اللى بجد لكن لا جد ولا جديد .

لم نعد نحب .....

لذلك لم نعد نصدم .

لم نعد نقدر على مواجهة مسئوليات واعباء الحب ليست الأعباء المادية فهذا شىء ضحل ، ولكن أعباء العشق والغرام ، أن تتوحد فى محبوبك وأن تلتصق بأورطى قلبه ، أن تسكن فى حجرات فؤاده (أحب استخدام لفظ فؤاد أكثر من لفظ قلب) .

لم نعد نستطيع أن نجن فى الغرام فاتهمنا كل عاشق بأنه مجنون .

قيس هو الحبيب الحقيقي .

وحسن مع نعيمة .

وعتريس مع فؤاده .

عندما لا نملك فى الدنيا هذا القلب ، هذا الفؤاد ، فأنت إذن حبوب ومحب وعاشق ومجنون ومغرم صبابة .

الحب الذى لا نموت فيه والغرام الذى لا يحولك إلى عباد الشمس تلتفت أينما التفت المحبوب ، لا يعد غراما ولا حبا ، بل هووبا !

احتار الناس دوما فى تعريف الحب ، لكن السهل أن نعرف الهووب فهو هذا الإحساس بالود والأعجاب المقرونين بالصحبة واللمة ، هذا الإحساس الذى يعبر داخلك فتستمهله قليلا ثم يرحل دون أن تغضب ، هذا الأحساس الذى إذا تركك (هبيبك) وخلع ، تخلعه أنت أيضاً .

الهووب هو الذى إذا ضاع نسيته ، وإذا فقدته لا تفتقده وإذا قبلت ثغرها واستطعمته ثم عوضك ثغر أخر عنها ، هذا هو الهووب .

الهووب هو الوقوف على الناصية مع فتاتك ويقولون إن فلأنا ماشى مع فلانه .. الحب هو ما كان يشعر به عبد الحليم فى " الوسادة الخالية " تجاه لبنى عبد العزيز ، أما

الهووب فهو ما كانت تشعر به لبنى عبد العزيز فى " الوسادة الخالية " تجاه عبد الحليم.

الغرام كائن آخر جنون ومرض وبلوى ومصيبة ودنيا تانية لا معنى للحياة إذا مضـــت دون أن يعذبك غرامك وتحتلك حبك ، ليس من السهل أن تصادفه ..

ومن السهل أن تسهو عنه ..

ومن السهل جداً ألا تعرفه ..

الحب هو ما أحسه أنا تجاه حبيبتى .

والهووب هو ما تحسه حبيبتى تجاهى ..

لا

قانـــــون للحـــــب

عندما يداهمك الحب فأنت لن تفرق بين الدكتوره الجامعية وراسبة الإعداديـــة ، وبيـن الجميلة وغير الجميلة ، فالحب يخفض قوة الإبصار إلى ستة على ستين ، وقوة البصيرة إلى واحد على عشرة ، وبذلك يصبح كل ما يصدر عن الحبيبة من جنون هـــو جميـل وأخاذ وباهر ومدهش ، وكل شيء في ملامحها ورسمها فتنـــة تخبـــل العقـــل ، ولعلك تعرف حكاية الشاب الذى أحب فتاة أنفها مسطح تماما فكان يتباهى بأنها ملاك هبط من السماء على أنفه .

والأنوثة ثوب نسائى موحد ترتديه كافة نساء الأرض ، وهو ثوب يجتذب الرجل ويجعله منقادا خلف المرأة سواء كانت تلبس تاج ملكة أو "مريلة شغالة" وقانون الإنقياد خلف الأنثى لا يتجزأ .

ابتداء من سمك البساريا فى البحر إلى ذكر الفراش الذى يطير نحو الفراشة وهى على بعد كيلو متر منه مسترشدا بعبيرها الأنوثى إلى ذكر العقرب الذى سعى خلف انثاه دون أن يعرف هل طيبة هى أم شريرة ، عاقلة ام مجنونة ودون أن يتوقع طبعا ما حدث لكل عقرب فى ليلة الزفاف .

إذ أن عروس العقرب من أبعد الأناث نظرا ، فهى تفضل أن تكون أرملة ، تلدغة وتستريح من قرفه منذ الليلة الأولى .

والمرأة لا تنفذ إلى قلب الرجل من خلال العقل أوالثقافة وإلا لما أحب معظم عباقرة الفكر الإنسانى نساء متواضعات التفكير .

ورغم ذلك كانت العبارة الساذجة التى تخرج من فم الحبيبة البسيطة تتحول فى وهم العاشق العبقرى إلى كلمات يتأملها ويحللها ويضفى عليها من فكرة ويستشف منها وجه الحكمة والجمال .

كذلك نجد أن معظم النساء اللاتى ساهمن فى تشكيل التاريخ لاعلاقة لهن بالشهادات أو الثقافة ، ابتداء من شجرة الدر ــ جارية نجم الدين أيوب - إلى إيفا براون عشيقة هتلر التى كانت عاملة باستديو تصوير ، إلى إيفا بيرون فتاة الكومبارس التى حكمت الأرجنتين .

وفى كافة العصور ــ خصوصا العصر العثمانى ــ كان حريم السلطان ــ من المحظيات والخليلات والجوارى ــ يلعبن دورا هاما فى تسيير دفة السياسة وفى الانقلابات الصامته التى تتم بدس السم لأن الأكياس البلاستيك لم تكن قد ظهرت بعد !

راجع مسلسلات الزواج من الشمالات للأستاذ/ أحمد رجب .

والحب كلام وأفعال ، وهو يتوهج بالكلام ويمتحن بالأفعال .

فإذا رسب الرجل فى الأفعال نجح بالتعويض إذا كان "فهلوى" الأقوال ، وكلمة الحب عند المرأة بالدنيا كلها ، فالرجل يجذب المرأة وراءة من أذنها بمعسول الكلام ، وينتهى الأمر عادة بأن تجذبه هى من رقبته مسلسلا إلى المأذون .

والمرأة لا تشبع من كلام الحب ، وفيما يختص بالغزل ..

فالمرأة ذات ذاكرة "تيفال" لا يلتصق بها أى غزل ..

يعنى هى فى حاجة إلى تذكيرها كل دقيقة بما قلته من أنك تحبها ، وأن عينيها هى اجمل ما رأيت فى دنياك ، وأن وأن وأن وأن ..

ولابد أن تكرر هذا الهمس مرة خامسة وعاشرة وعشرين ومائة .

فالمرأة تعبد كلام الحب وتتمناه أو يدعى نسيانه .

وليلى لم تحب الجنون بقدر ما أحبت كلامه .

والمرأة لا يخلو صوتها من رنة سعادة وهى تستدعى الشرطة لأنك قلت لها يا قمر .

والمرأة لا تحب اللغة الفصحى إلا فى رسالة غرام بين يديها نقلها الحبيب طبعا نقل مسطرة من كتاب " دليل المشتاق فى رسائل العشاق " وكل حب ينسج خيوطه .

الأولى بالكلام فنظرة فابتسامه فسلام فكلام ! وهو يدعم خيوطه الأولى بالمرحلة الكلامية .

الثانية التى تعرف بأنها وعود الحب !

ووعود الحب هى الحب نفسه فهى خيوط أساسية فى نسيجه ومن اوهامه الجميلة تنسج الأوهام .

ووعود الحب بعضها رومانسى ومعظمها مادى .

فالمرأة تحب الفلوس والجواهر والملابس والحياة الباهرة .

وقيل فى ذلك إن الغانية تفضل أربعة أنواع من الحيونات :

- الخنزيرة فى الجراج .
- والمنك حول أكتافها .
- والثعبان الذهبى حول معصمها .
- وأخيرا الحمار الذى يتكفل بكل هذه النفقات .

ومن سحر الحب أنه يجعل كل شىء قابلا للتصديق : لأن الحب لا يعرف المستحيل ، ونظرا لأن الرجل يبحث عن كافة السبل لجلب رضا أنثاه ، فهو فى سكرة الحب يبذل الوعود المادية ، وإذا قال لها اصبرى يا حياتى وأنا أجيب لك مال قارون فهو يستطيع أن يحقق هذا الوعد مع الوقوف أمام رئيس نيابة المخدرات !

ووعود الحب نادرة التحقيق لأنها تكلف الرجل كثيرا وأحيانا تكلفه عمره كالزواج ، وعندما قال ملك بريطانيا لمسز سمبسون : سوف أتنازل عن العرش لأتزوجك ، كان تحقيق وعده – بالتأكيد – شيئا مثيرا لسعادتها ، وكان بالتأكيد ايضا شيئا مثيرا لغضبها عندما كان يردد فى البيت أنا تنازلت عن العرش من اجلك وذلك أثناء خناقات الزواج. وعموما يجدر بالمرأة العاقلة أن تتلقى الوعد الجميل بكثير من التحفظ وباعتباره مجرد هذيان فى سكرة الغرام .

فإذا قال عاشق لحبيبته : " أبنى لك قصر عالى وأخطف نجم الليالى ".

فمن السذاجة أن تسأله هى بعد ذلك إن كان قد تعاقد مع المهندس الذى سيبنى القصر العالى أو تستفسر منه على الخطوات التى اتخذها مع وكالات الفضاء ليخطف نجم الليالى .

وفى وعود الحب تنتشر هدايا العيون خد عيناً واعطف عليا ، وخد عين منى وكلمنى ، فإذا قال لها خدى عين منى وقابلينى ، فلا شك أنها سوف تكون فى منتهى التخلف العقلى إذا تصورت أنه سينصرف من " الراتديفو " بعين واحدة .

وغالبا لايوجد حب يظل على قوته ، فالحب مراحل ، أو هو كأوتار الكمان ، كل مرحلة

تعطى نغمة مختلفة ، وفى النغمة العالية يعتبر كل طرف أن الآخر ركن جوهرى فى حياته لا حياة بغيره ، ولا بديل عنه ، وأنه غير كل البشر ، فقدانه هو نهاية العالم وخراب الدنيا ، والذين مروا بهذه المرحلة يدهشون بشدة كيف كانوا كذلك ، وتنتابهم هذه الدهشة عادة وهم يقفون أمام محكمة الأحوال الشخصية .

فالحب يحتاج إلى اثنين ، والخلاف أيضاً لابد له من اثنين ، واستمرار الحب على قوته يتطلب من الطرفين نموا متقارباً فى النضج العاطفى والعقلى والنفسى .

إن رجلا قد ينبهر بأمرأة ــ أو العكس ــ ثم لا يلبث أحدهما أن يكتشف أنه أساء التقدير .

ولعل أخطر اللحظات هى عندما يخلو أحدهما إلى نفسه ويبدأ فى البحث عن أسباب وجيهه تبرر حبه للآخر .

فالحب هو الوهم بأن إنسانا معينا يختلف عن الآخرين فنمنحه مشاعر خاصة جدا واستمرار الحب ــ بنفس القوة ــ مشروط بألا يفيق أحد الطرفين من هذا الوهم قبل الآخر .

أن البداية دائما رائعة ومثيرة ، فكل طرف يدعو الآخر إلى أن يدخل معه شريكا فى المشاعر والأحلام ، وكل طرف يقدم أفضل ما عنده ، ثم ــ لأمر ما ــ يختفى الأفضل عند أحد الطرفين ولايبقى إلا الأسوأ .

والأسباب لذلك كثيرة ، كأن تتبين هى مثلا أنها أحبته لشخصه ثم أتضح لها أنه ليس مليونيرا .

والحب ينمو فى اتجاه الفراق والأنفصال عندما يحب الرجل غانية أو تحب امرأة رجلا لعوبا ، وفى الحالتين يتجه الحب منذو بدايته إلى النهاية .

فلا " كازانوفا " اللعوب يكف عن الخيانة ، ولا الغانية تطيق الإخلاص .

ولا توجد أبدا علاقة بين رجل وامرأة بلا خلافات أومتاعب ، والمتاعب تنقسم إلى قسمين :-

متاعب جميلة فى الحب ، ومتاعب فقط فى الزواج فالمرأة مشكلة الرجل ، والرجل مشكلة المرأة ، وكل من الطرفين هو أيضا الحل لمشكلة الآخر والرجل إذا لم يجد من يحبها عاش فى المشكلة ، وإذا وجد من يحبها عاش فى مشاكل ، وإذا تزوجا أصبحت المشاكل بالد سته ، وإذا انفصلا ، كانت المشاكل أشد تعقيدا ، ولا يستريح كل طرف من الآخر إلا إذا حمل لقب المرحوم .

فالحياة رجل وامرأة ، أو هى شركة أبدية بين رجل وامرأة ، واحد شريك والثانى الشريك المخالف وطبيعة الإنسان أن يختلف فى الرأى ليس مع غيره فقط ، بل مع نفسه أيضا .

ويقال فى هذه الحالة إنه " غير رأيه " كالشاب الذى طلب يدها فقبلت ، ثم عاد فى الليلة التالية يطلب يدها من جديد لعلها ترفض !

وفى عز الهوى وأشتعال النار العاشقين يتعاملان ليس فقط كشخصين على خلاف ، بل كخصمين لدودين .

فالمرأة مثلا تشعر بسعادة غامرة عندما تعرف أنه يقاسى فى البعد عنها أويصاب بالخبل إذا تحدثت إلى رجل آخر .

كذلك ينتشى الرجل وينتفش كالديك الرومى عندما يعرف أنها لاتنام الليل بسبب سفالته وخيانته .

معنى هذا كله أن الخلاف بين العشاق لاينتهى أبدا سواء كان العشاق لا ينتهى أبدا سواء كان العاشقان فى أحسن الأحوال أو أسوأ الأحوال .

والحب لايذهب دفعة واحدة ، بل يعبر أبواب النهاية بابا بعد باب ، وهو يبذل الكثير للدفاع عن بقائه وهو فى رحيله التدريجى وراء أقنعة عديدة .

فإذا قال رجل عن امرأة ربطته بها علاقة : إنى أكرهها ، فهو يحبها ، وإذا انتوى

الإنتقام فهو يعشقها ، ولإذا فكرت هى فى قتله فهى تعبده .

فالحب فى كل أطوار تشنجاته وغضبه يضع أقنعة الكرامة أو الخصومة المتـــهورة أو الإنتقام ، ولكنه فى جوهره حب يحتضر ، فـــ " عطيـــل " كـــان يقتـــل " ديدمونـــة " ويخاطبها ــ دون أن يشعر ــ ياحبيبتى ، مبتهلا إلى الله أن يرحمها ، والحب يخلع كل أقنعته عندما يهدأ ويموت فالإنسان يعرف أنه شفى من الحب إذا التقى بها والتقت بـــه ، المشاعر هادئه ومحايدة وكأنه لقاء زوجين فى البيت .

عند نهاية الحب ، من الحماقة أن يبتعد الإنسان برضاه عمن يحب وهو غير مؤهل لهذه القطيعة قرار القطيعة يحتاج إلى تمهيد يحتاج تعبئة المشاعر ضد الطـــرف الآخـــر أن يقترب أكثر أن يستمر معه ليرى الوجه القبيح منه ، حتـــى يصـــل قرفـــه منـــه إلـــى درجةالتشبع إن الإنسان لايختار الحب ، الحب هو الذى يختار الإنسان .

ولذلك فالمرأة ــ أو الرجل ــ لاتملك أن تنسى حبها ، الحب هو الذى يملك أن ينساها فابتعاد الحب من تلقاء نفسه هو النجاة الحقيقية أوالانسحاب بلا خسائر والحب يبتعد من تلقاء نفسه عندما يقترب الإنسان أكثر ليرى الآخر على حقيقته .

وليس على الإنسان عندئذ أن يندب حظه لأن حبه قد فشل ، فكل حب يولد لكى يكـــون فاشلا ، لأنه إما أن ينتهى بالخلاف وأما ان ينتهى بالزواج .

والكذب نصف الحب ، ومن الممكن أن يقال : الكذب كل الحب ، فالحب عقـــد لتبـــادل الوهم الجميل بين رجل وامرأة .هى تجد متعة فى الكذب عليه . وهو يرضى غـــرورة بالكذب عليها ، والكذب فى الحب جميل ومستحب مادام يرضى كل الأطراف إن الشفاة الجميلة تجعل الكذب أشد إقناعا وأقوى منطقا .

والمرأة إذا كانت صادقة فقدت سحرها ورقتها وأفقدت الرجل نعمة الإستمتاع بكذبـــها ، فإن تقول ــ وهى مسبلة الجفنين ــ أحبك وتتركك هائما فى أكذوبة جميلة ، خير من أن تقول لك الحقيقة وهى أنها لاتحبك وإنما هى تأمل أن تحبك يوما وتنسى بك حبا فـــاشلا كسر قلبها .

ولعل من محاسن الصدف فى الحب ذلك التوافق الطبيعى بين الطرفين :
العاشق يكره الحقائق والمرأة تموت فى الكذب ، فهو يفضل ألا يراها بغسيل وجهها ، وهى بعد أن تتزين يتملى من جمالها رغم أنه يعرف أن خدودها ليست بهذا اللون التفاحى ، ولا الأحمر النارى هو لون شفتيها ، ولا كحلة العين ربانى ، لكن الغش مباح والكذب مغفور فى الجمال والحب !
والمرأة تجد متعة كبرى فى الكذب على الرجل .
إن الكذب عندها انتصار على الرجل وتحايل على قيوده .
الكذب عندها تضليل للرجل وإرضاء كاذب لغروره وغيرته ، فهى تفعل ما تريد وتجعله يصدق ماتشاء .
والمرأة تغير رأيها كثيراً ، فهى مضطرة إلى المزيد من الكذب لتبرر مواقفها المتناقضة ولابد أن يروض نفسه على تقبل الكذب بروح طيبة ، وهى فى الزواج ــ كما فى الحب ــ تكذب عليه أكاذيب عليه صغيرة حرصا على أشياء أكبر ، بينما هو فى الزواج يكذب عليها أكاذيب كبيرة إخفاء لأشياء أصغر .. أصغر سنا من زوجته !
هل يتأثر الحب بالمادة ؟
هل الحب له مطالب مادية أم أنه يشد بين قلبين ولا يعنيه شىء سوى ذلك ؟
إن الحب غير الزواج .. ففى الحب الكلام همس وفى الزواج زعيق ، فالحب طعم والزواج علم ، وفى الأحلام والحب لامستحيلات ، بنت السلطان تحب الشاطر حسن ، والأمير يحب بنت الخفير لأن الحب محطة كبيرة يلتقى فى ساحتها ركاب التكييف وركاب " السبنسة " وركاب سطح القطار أيضاً .
بينما الزواج غرفة انتظار تتسع لشخصين أحدهما دائما فى انتظار الآخر لاستجوابه (غالبا عن الفلوس) والحب الحقيقى هو القدره على العطاء بلا مقابل ، فالحب ــ دائما ــ يرفع شعار : بلا مقابل ، والإنسان يحب ــ أحيانا ــ من طرف واحد أى بلا مقابل ــ أو مجانا ــ فى أى مكان .. فى الهواء الطلق أو على شط النيل ، ولكنك لا تستطيع

أن تتزوجها إلا فى شقة تمليك .

والحب دائما يحلق فى السماء ، والزواج له بيت لصيق بالأرض والحب غير مسئول لأنه نشوان وسكران " وياحبيبى أنت خمرى وكاسى "!!

وفى السكر يهذى السكارى بالكلمات الشهيرة : " أعيش معاك وأكلها بدقة " أما فى الزواج فإن الكلام محسوب وخال من أى هذيان رغم أن الزواج فى النهاية قد يؤدى إلى حالة هذيان .

وفى الحب بصلة المحب خروف وإذا استمر يطعم زوجته هذه البصلة فسوف يدفعها إلى أن تفتش فى نصوص قانون الأحوال الشخصية عما ورد بشأن هذه البصلة ! وتشعون فى المائة من خناقات الحب سببها الغيرة وتسعون فى المائة فى خناقات الزواج سببها الفلوس ، فالحب لايعرف أول الشهر من آخر الشهر ، لكن الزواج ينتظر دائما أول الشهر حتى تبدأ المعارك .

غراميات فوق الستين تطيل العمر

اثبت الباحثون فى جامعة مينيسوتا الأمريكية أن الحب لا يعترف بسنوات العمر وأن الرجل المتقدم فى السن يفكر فى الحب ويشعر بالميل حقا لامرة بعينها لانه يحبها بالفعل فليس هناك فرق فى أعراض الحب من فرح وانفعال وتوتر وازدياد النبض عند رؤية المحبوب بين الشباب وكبار السن رجالا ونساء كما أكدت الدراسة أيضا التى تمت على ٦٠ شخصا تراوحت أعمارهم بين سن ٥٨ و ٧٢ عاما أن الشخص الذى تعدى الستين لا يتسرع فى الأرتباط ولكنه يحب ويتكتم عواطفه طويلا قبل أن يبوح بها كما أن الحب عند كبار السن ليس تعبيرا عن الحرمان أو المراهقة المتأخرة كما هو شائع بين الناس .

وفى بحث آخر قامت به الدكتورة (دورثى فوستر) بجامعة أوكلاهوما ان الرجل الذى يتزوج من امرأة تصغره فى السن كثيرا يعيش حياة اطول بالمقارنة بغيره من الرجال الذين ينتمون إلى نفس السن وقد استعانت الباحثة فى دراستها بالبيانات والاحصائيات الرسمية فى الولايات المتحدة وقارنت بين توقيعات العمر بالنسبة للرجال المتزوجين من نساء اصغر منهم سنا والرجال المتزوجين من نساء يكبرنهم سنا فكانت النتيجة ان الرجال الذين تزوجوا من نساء يصغرونهم سنا يعيشون عمرا اطول من المتوقع .

أجمل التهانى..بالزفاف ،،،